ملخص خطبة الجمعة

بتاريخ ٢٠٢٦/٩/١٨

في المسجد المبارك بإسلام آباد في بريطانيا

بعد التشهد، والتعوّذ، وتلاوة سورة الفاتحة، قال حضرته أيده الله تعالى بنصره العزيز إنه سيواصل ذكر توكل النبي الكريم ﷺ على الله تعالى.

عندما هاجر النبي الكريم ﷺ من مكة إلى المدينة، خرج سراقة بن مالك لمطاردته طمعًا في المكافأة الكبيرة التي رُصدت لمن يقبض عليه وعلى حضرة أبي بكر رضي الله عنهما أو يقتلهما. وتمكن سراقة من الاقتراب منهما، لكنه سقط عن فرسه مرتين، وفي كل مرة كان يستقسم فيأتي السهم بما يمنعه من مواصلة المطاردة. عندها أدرك أن الأمر لن يتم له، فنادى النبي الكريم ﷺ وطلب الأمان، وأخبره بأنه لم يعد يريد بهما سوءًا. فاستجاب له النبي الكريم ﷺ، وطلب منه فقط ألا يخبر أحدًا بمكانهما، بل منحه أيضًا عهدًا مكتوبًا بالأمان عندما ينتصر النبي الكريم ﷺ.

قال حضرته أيده الله تعالى إن تلك كانت ثقة النبي الكريم ﷺ بالله تعالى، حتى إنه لم يكن لديه أدنى خوف. فقد كان يتابع رحلته وهو يتلو آيات من القرآن الكريم. وكان على يقين تام من أنه لن يصيبه أي أذى، إلى درجة أنه منح سراقة الأمان والحماية، واثقًا تمام الثقة بأنه سينتصر في نهاية المطاف. وعندما كان سراقة يغادر، قال له النبي الكريم ﷺ: «كيف يكون شعورك يا سراقة عندما تكون أساور كسرى في معصميك؟» فتعجب سراقة كثيرًا عند سماعه ذلك. وفي نهاية المطاف، أثناء خلافة حضرة عمر رضي الله عنه، عندما وقعت أساور كسرى في أيدي المسلمين، استدعى حضرة عمر رضي الله عنه سراقة ومنحه الأساور، كما تنبأ النبي الكريم ﷺ.

تحويل التوكل إلى عمل

اقتبس حضرته أيده الله تعالى من حضرة ميرزا بشير الدين محمود أحمد رضي الله عنه، الخليفة الثاني للجماعة الإسلامية الأحمدية، قوله إن سلوك النبي الكريم ﷺ كان نتيجة إيمانه بالله الواحد. وكان توكل النبي الكريم ﷺ على الله تعبيرًا عن إيمانه بالله ووفائه بالغاية التي أرسله الله من أجلها. وبالمثل، لم يكن النبي الكريم ﷺ يعبر عن إيمانه بطريقة يقول فيها إنه سيبقى ساكنًا بينما يمنحه الله النصر. بل كان يتخذ الأسباب والوسائل اللازمة المتاحة له. فكان يرتب لتدريب جيوشه، ويهيئ دواب الركوب، ويجمع السلاح، ويدبر طعام جيشه وشرابه. ثم عندما كانت جيوشه تواجه عدوًا يفوقها عددًا، كان النبي الكريم ﷺ، بعد أن يبذل جميع الجهود الممكنة ويتخذ جميع الترتيبات

اللازمة، يتقدم واضعًا ثقته بالله. وهكذا أظهر النبي الكريم ﷺ العمل العملي والتوكل على الله معًا، مبينًا أن كليهما يسير جنبًا إلى جنب.

واقتبس حضرته أيده الله تعالى من المسيح الموعود حضرة مرزا غلام أحمد عليه السلام، حيث كتب:

»"إن عصر المصاعب الذي عاشها نبيُّنا ﷺ في مكة لثلاثة عشر عاما، يتبين لنا بقراءة تاريخه بوضوح أن حضرته ﷺ قد أبدى الأخلاق التي يجب أن يبديها الصادق الكامل في عصر الشدائد، أي التوكلَ على الله واجتنابَ الفزع والشكوى والتقاعسِ في أداء مهامه، وعدمَ خضوعه لهيبة أحدهم، فآمن به الكفار برؤية تلك الاستقامة وشهدوا بأنه لا يستطيع الإنسان أن يبدي تلك الاستقامة ويصبر على الأذى ما لم يكن توكلُه على الله تاما".
قال حضرته أيده الله تعالى إنه عندما وصل النبي الكريم ﷺ إلى المدينة، بايع المسلمون على أنهم سيواجهون العرب جميعًا إذا اقتضى الأمر. وكان حال المسلمين في ذلك الوقت أنهم لم يكونوا يبيتون ليلة إلا وأسلحتهم إلى جانبهم. فلم يكتفوا بالتوكل على الله، بل اتخذوا أيضًا التدابير اللازمة لحماية أنفسهم في حال وقوع هجوم في أي وقت.

وقال حضرته أيده الله تعالى إنه في إحدى الليالي بعد وصول النبي الكريم ﷺ إلى المدينة، أعرب النبي الكريم ﷺ عن أمنيته لو أن هناك شخصًا يقف للحراسة في الخارج. وفي تلك اللحظة، سمع صوت الأسلحة خارجًا. فسأل النبي الكريم ﷺ من هناك. فاتضح أن أحد أصحابه قد جاء ليقف حارسًا. وقال ذلك الصحابي إن شيئًا في قلبه أخبره بأنه ينبغي أن يذهب ويقف حارسًا للنبي الكريم ﷺ. وقد ورد أيضًا أنه في ذلك الوقت نزل على النبي الكريم ﷺ ما يلي: «وَاللهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ» .

وعند ذلك، أخبر النبي الكريم ﷺ من كانوا خارج خيمته أن يعودوا إلى مساكنهم، لأن الله قد أخبره بأنه سيحميه بنفسه. وإلى أن نزل هذا الوحي على النبي الكريم ﷺ، كان لا يزال يأخذ بالأسباب والوسائل المحيطة به.

الشجاعة في مواجهة الموت

قال حضرته أيده الله تعالى إنه من المروي أنه عندما كان النبي الكريم ﷺ يخرج للمعارك، كان يدعو الله قائلًا: «اللهم أنت عضدي ونصيري، وبك أقاتل«.

وقال حضرته أيده الله تعالى إن هناك حادثة مشهورة تدل على توكل النبي الكريم ﷺ على الله. ففي إحدى المرات، وجد أحد الكفار النبي الكريم ﷺ وحيدًا تحت شجرة. فأشهر سيفه وسأل النبي الكريم ﷺ: من سينقذك الآن؟ فأجاب النبي الكريم ﷺ دون تردد: «الله». وكان لهذا الجواب تأثير عميق في قلب ذلك الكافر، حتى سقط السيف من يده إلى الأرض.

توكله الكامل حتى عندما كان العدو يفوقهم عددًا

في غزوة الخندق، واجه المسلمون ظروفًا صعبة، وكانوا قلة وفقراء في مواجهة جيش كبير، فحفروا الخندق حول المدينة كخطة دفاعية. ورغم شدة الظروف وكثرة العدو، ظلوا ثابتين ومتكلين على الله، فأنزل الله عاصفة أخافت العدو وأجبرته على الفرار.

وأثناء حفر الخندق، واجه المسلمون صخرة كبيرة لم يستطيعوا كسرها، فنزل النبي الكريم ﷺ بنفسه وكسرها، رغم شدة جوعه. ثم دعا أحد الصحابة النبي ﷺ إلى طعام قليل، فدعا النبي ﷺ أصحابه جميعًا، وبارك الله في الطعام حتى شبع الجميع وبقي منه شيء، وكان ذلك مظهرًا من مظاهر توكل النبي الكريم ﷺ على الله.

وفي غزوة حنين، عندما اشتد الهجوم وبدا أن الهزيمة وشيكة، تقدم النبي الكريم ﷺ بثبات قائلًا« :**أنا النبي لا كذب، أنا ابن عبد المطلب**»، ولم يتزعزع توكله على الله، فكان النصر في النهاية حليف المسلمين.

واقتبس حضرته أيده الله تعالى من المسيح الموعود عليه السلام قوله:

"يرى عقلاء هذا الزمان أن اتخاذ أي شخص عدوًّا يُعد خطأ، ولكن إذا أردتم الحق، فإن هذا أيضًا دليل على الصدق. فلم يراعِ النبي الكريم ﷺ في قول الحق خاطر أحد، حتى صار كل واحد منهم عدوًّا له. لقد ساءت علاقته بالجميع بسبب قوله الحق؛ ولأن أحدًا لم يكن يريد سماع الحق، كان لا بد من نشوء العداوة بينه وبين الناس. وفي نظر هؤلاء الناس، نعوذ بالله، يكون النبي ﷺ قد أخطأ، مع أن معاداة الجميع ابتغاء مرضاة الله وحده دليل بيّن على صدقه، ومن ذلك تُعرف قوة إيمانه".

ومن جهة أخرى، يضرب عليه السلام مثال المسيح عليه السلام، فيقول: "انظروا إلى تعاليمه الواردة في الأناجيل. وعندما يعترض الناس على المسيح عليه السلام، يقول عليه السلام لهم: إنما أبيّن الأمر بحسب ما ورد من تعاليم في الأناجيل. ويتضح من ذلك أن نهجه لم يكن قائمًا على إغضاب أحد قط. فقد قيل لليهود: إني لم آتِ لأغيّر من التوراة حرفًا أو نقطة واحدة. أما إذا نظرنا إلى تعاليم النبي الكريم ﷺ، فلن نجد على وجه الأرض فرقة أو ديانة إلا ودعاها، وبيّن ما فيها من أخطاء، ثم أعلن في مواجهة الجميع أنه سيكون مظفّرًا منصورًا. ولم يكتفِ ببيان أخطائهم ومواجهتهم، بل أعلن: إن لي يقينًا بالله تعالى وتوكّلًا عليه، وإن انتصاراتي آتية إن شاء الله، لأنني مبعوث من عنده".

ثم يقول عليه السلام: "فأخبروني، هل يستطيع أحد أن يفعل ذلك ما لم يكن لديه توكل كامل على الله ويقين تام به؟".

وانهى حضرته الخطبة بقوله:

اللهم صل على محمد وعلى آل محمد وبارك وسلم إنك حميد مجيد